جامعة الدكتور مولاي الطاهر"سعيدة"
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

تيهرت ودورها الاقتصادي والثقافي خلال العصر الوسيط

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الأسلامي في العصر الوسيط

إعـــــداد الطـالبة
-بن يحيى حنان

إشراف الأستـــــاذ:
د. بن مصطفى دريس

لجنة المناقشة

د.شيخ فاطمة	جامعة سعيدة	رئيسا
د.بن مصطفى ادريس	جامعة سعيدة	مشرفا ومقررا
د. بوسالم أحلام	جامعة سعيدة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1446/1445هـ-2025/2024م

شكر وعرفان

ونحن نضع اللمسات الأخيرة لعملنا هذا لا يسعنا الا ان نتوجه بالحمد والشكر للمولى تبارك و تعالى الذي وفقنا لاتمامه، كما اتقدم من هذا المقام بأسمى عبارات الشكر وعظيم الامتنان للاستاذ المشرف "بن مصطفى دريس" الذي تفضل بالاشراف على هذا العمل فلا تتسع الكلمات ولاالمعاني لشكره وتقدير جهوده، وحرصه الدائم جديته الصادقة.

كما اتقدم بالشكر الجزيل الى جميع اساتذة قسم العلوم الانسانية على المجهودات الجبارة التي بذلوها من اجل تكويننا.

و في الختام اشكر كل من رفع أكف الدعاء لي في السر والعلن فلهم جزيل الشكر والعرفان والتقدير و جزاهم الله كل خير

إهـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله نبي الهدى و بدر التمام محمد النبي الأمين، أشرف الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن والاه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد فيسرنا أن نهدي عملنا هذا لكل من علمنا حرفا في هذه الحياة وإلى جميع أفراد الأسرة الجامعية بولاية سعيدة، وإلى العائلة الكريمة، وإلى رفيقات المشوار الجامعي اللاتي قاسمتني لحظاته فرعاهم الله ووفقهم وإلى من أحبهم قلبي ونسيهم قلمي.

قائمة المختصرات :

المصطلح	إختصاره
الجزء	ج
الطبعة	ط
التحقيق	تح
الصفحة	ص
الهجري	هـ
الميلادي	م
توفي	ت
العدد	ع
دون طبعة	د ط
دون مكان النشر	دت
القرن	ق
المجلد	مج
الترجمة	تر
page	P

مقدمة

مقدمة:

شهد المغرب الإسلامي قيام عدة دويلات مستقلة، منها الدولة الرستمية التي كانت عاصمتها مدينة تاهرت، التي صنعت في حقبة وجدت مكانتها الخاصة بين دول المغرب، وأبدعت رائدة في مجالات مختلفة، منها المادية ومنها الفكرية الثقافية. ونظرًا لما سبق، فإن إنتقاء هذا الموضوع كان لعدة دوافع، نذكرمنها :

كوننا أبناء المنطقة، وكذلك ميولنا لدراسة الجانب الحضاري لدولة الرستمية، كونها اتسمت بالعدل والسيادة، وبروز إسهامات الحضارية لحاضرة تاهرت، وتسليط الضوء على ملحقة علاقاتها الثقافية مع دويلات المغرب. وكذا الدوافع والأسباب مجتمعة، ولرغبتنا العميقة، عكفنا على الوصول إلى نتائج الدراسة.وتكمن أهمية موضوعنا هذا في إيضاح الدور الحضاري و الإقتصادي، لتاهرت وأبراز علاقات الثقافية التي ربطتها مع غيرها من دويلات المغرب، التي أثّرت وتأثرت بتاهرت، مما جعلها عبارة عن تراث حضاري، وهذا الثمن الذي لا نستغني عنه في جانبه الديني.

وما يتمحور موضوعنا حوله: الواقع الحضاري لتاهرت، وهذه هي الإشكالية الرئيسية التي تفرعت إلى عدة تساؤلات، التي من خلال هذه الدراسة، حاولنا الإجابة عليها، وهي كالتالي:

ما هي الخلفيات التاريخية لقيام تاهرت؟ وما مميزاتها الجغرافية؟

وما دورها الإقتصادي؟ وما هي طبيعة العلاقة التي ربطتها مع دويلات المغرب؟

وهل كان مذهبها الإباضي مشددًا أم غير ذلك؟ وهل كان شامح الدين فيها لهم أثر في تنشيط الحركة الفكرية؟

- ما هي أهم المؤسسات التعليمية التي وُجدت بها؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات سعينا إلى الإحاطة بالموضوع عن طريق وضع خطة انقسمت إلى مدخل وفصلين، فالمدخل خصصناه لذكر طبيعة الجغرافية لتاهرت وأهميتها التاريخية.

ثم ذكرنا في الفصل الأول الدور الاقتصادي لتاهرت، الذي تفرع بدوره كأساس إلى ثلاث مباحث متناسقة، ملمة بالجانب الإقتصادي، تعرّفنا على الزراعة في تاهرت ومميزاتها، ثم قمنا بذكر الجانب الصناعي والتجاري كمبحث ثالث وأخير.

أما الفصل الثاني أفردناه لذكر الدور الثقافي والديني لحاضرة تاهرت، فهذا الفصل كسابقه قسمناه لثلاث مباحث، عالجنا في المبحث الأول مراكز الثقافة وتعددها من مساجد، وكتاتيب، ومكتبات، ثم تطرقنا في المبحث الثاني إلى العلاقات التي جمعت تاهرت بدول المغرب، دولة الأغالبة والأدارسة، وما يتصل من مدارس، وختمنا هذا الفصل بتعاين الديني المذهبي الذي ميّز الدولة الرستمية عامة، وتاهرت خاصة.

أما الخاتمة، فقد احتوت على الاستنتاجات التي توصلنا إليها من دراستنا هذه، وأرفقنا معها ملاحق خاصة بالموضوع.

ومن أجل استكمال هذه الدراسة، اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع، وفقًا لمعايير الأمانة العلمية، وكذلك لإبراز مكانة تاهرت العلمية لهده الحاضرة، ومن أبرز هذه المصادر والمراجع:

- كتاب أخبار الأئمة لابن الصغير المالكي، الذي كان معاصرًا للدولة الرستمية، وقد ساعدنا في فهم نظامها الاقتصادي وكذلك التجاري. الدولة الرستمية درست في الأوضاع الاجتماعية لإبراز الحياة اليومية في جميع نواحيها، ومؤلفها تناول الجانب الاقتصادي، ثم تطرق إلى الحياة الفكرية التي كانت محورًا من محاور موضوعنا، وهذا ما أفادنا في إبراز شدة ارتباط الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي وتأثرها بعلاقاته الخارجية.
- كتاب الدولة الرستمية في المغراب الاسلامي (حضراتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب) للمؤلف عيسى الحريري الذي ذكر العلاقات الثقافية التي ربطت بين تاهرت ودول الغرب.

ولا يخفى علينا استفادتنا من دراسات سابقة لهذا الموضوع، التي أفادتنا بما لم نتمكن من الوصول إليه بواسطة المصادر، منها مذكرة ماجستير لفاطمة مطهري بعنوان "مدينة تاهرت الرستمية: دراسة تاريخية"، التي مكنتنا من التعرّف على الدولة الرستمية عامة،

وتاهرت خاصة، وهذا ما خدم الموضوع من الناحية التاريخية. واستفدنا من المنهج التاريخي في السرد، الذي كان شائعًا في هذه الدراسات، فسردنا الأحداث التاريخية تبعًا لتسلسلها. وكل بحث يستمد أهميته من تنوع معطياته، وقد ذكرنا فيه شح المادة المتخصصة في المجال الثقافي، لأن أغلب المصادر في الغرب الإسلامي تدرس الجانب السياسي أكثر مما تتناول الجانب الفكري.

مدخل

1.الوصف الجغرافي لتيهرت.

تعد تيهرت من أبرز مدن المغرب الإسلامي عموماً، وبلاد المغرب الأوسط[1] على وجه الخصوص. وترتبط الأهمية التي اكتسبتها تاهرت كعاصمة نظرا لموقعها، حيث رأى عبد الرحمن بن رستم بعد أن بويع بالإمامة أن يتخذ لنفسه عاصمة يحتمي بها، لذلك استعان بأهل العلم فاستحسنوا موقع تاهرت[2]. ومن أهم الأسباب التي دفعتهم إليها هي بعدها عن النظر السياسي. وكونها منطقة داخلية منطوية على نفسها. ووقوعها على سفح جبل جزول.[3]

وواصل اليعقوبي قوله بأنه "جبل متصل بالسوس، وسماه أصل السوس بتراب الأوراس، [4]وهذا ما جعل منها امتدادًا بين بلاد الزاب وناحية الحِمَّة، أنشئت المدينة في موضع المياه، حيث وقعت على وادٍ عظيم ذات عيون وبساتين" [5] ، حيث أنها أنشئت على أنهار عرفت بالوفرة والتنوع في الوقت نفسه، باعتبارها اختطت على وادي متياس النابع من عدة عيون، وأخرى في عيون بوسمغون ناشئة في جهتها الشرقية.[6]

---

[1]المغرب الأوسط: ذكر المصطلح أول مرة الرحالة أبو عبيد البكري خلال كتبه. ويمتد نفوذها شرقًا إلى تلمسان غربًا، ضمن البحر المتوسط شمالًا حتى بلاد توات جنوبًا. أنظر: البكري، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفت، الدار العربية للنشر، 1992.ص 746

[2]أ) محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي: نشأتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، ص 160-296، دار الكلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص 95.

[3]جبل جزول اختلفت تسمية هذا الجيل من مصدر لآخر، حيث ذُكر بعدة مسميات منها جيل فزول أو جبل قفل، أنظر المراكشي، الاستعارة في عبارة المعمار، وصف مكة والمدينة ومصلى وبلاد المغرب، تحقيق معد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية للنشر والتوزيع، العراق (د.ت)، ص 278.

. [4]المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، د.ن، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 296.

[5]أحمد أبي يعقوب، البلدان، تحقيق محمد أمين متتاوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2002، ص 158.

[6]البكري، المصدر السابق، ص 66.

وعيُون أخرى بمياه الشُرب، ولم يكن ذلك للشرب فقط، بل تعدّاه إلى سقيّ البساتين المزدهرة، لاسيما على نهر التاشت.[1]

ولوفرة المياه تأثيرٌ على خصوبة التربة، حيث امتازت تيهرت بخصوبة أراضيها وكثرة محاصيلها، وهذا ما أورده اليعقوبي بقوله: "لم يجذب زرع هذا البلد إلا ما أصابه ريح أو برد وتربتها جعلت منها قابلة لتنوّع المحاصيل، منها السفرجل، حيث قال البكري: "وفيها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعماً حتى سمّي بالفارس "[2].

وقربها من المراعي، وطبيعة موقعها التلّي المشرف على الصحراء، جعل تيهرت تجمع بين خاصيتين أساسيتين: الأولى تتمثل في كونها غيضة أو غياضيل، فالغيضة هي مكان الماء الذي ينبت فيه الشجر؛ وأما الثانية فتقترن بطبيعة الصحاري الرعوية، وهو الأمر الذي أهلها لأن تكون مقرًا لتربية المواشي[3].

تمتعت تيهرت بالثروات الزراعية والمراعي لاحتوائها على معادن دواب الماشية والغنم، والبغال، والبرابين، ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات [4].

ومن جهة أخرى عُرفت تيهرت بتاقدمت غرب المدينة الرومانية أي حول خمسة أميال منها وقعت بين جبال الأطلس إلى بلاد التل الخصيبة[5].

وذكر البكري أنها عرفت بتاقدمت قائلا " .. نزل عبد الرحمن موضعا مربعا لا شعراء فيه، فقال البرب نزل تاقدمت.

---

[1] جليجل فاطمة، موقع تُسْتَعتْ الماثري (771م – 906م)، مذكرة ماجستير.لنيل الماجستير، تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، 213-214.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص 140، 146.

[3] البكري، المصدر السابق، ص 66.

جليجل فاطمة، المرجع السابق، ص 14

[4] ابن حوقل ،صورة الأرض د ط،مكتب الحياة .بيروت.لبنان 1996.ص86

[5] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، من 1666 إلى 1962

وذكـر البـاروني أيضـا أن تيهـرت ضـمت مـدن كثيـرة، حيـث أن كـل المـدن الداخلـة و القـرى الواقعـة بـين الـزاب وفـاس وسلجماسـة كانـت داخـل مملكـة تيهـرت[1] ، كمـا نسـب إليهـا كتـنس وشـلف، حيـث أنهـا كانـت فـي الاقلـيم الرابـع، وكـان عرضـها حـوالي ثمـان وثـلا ثـون، وهـي مدينـة جليلـة، وكانـت قـديما تسـمى عـراق المغـرب. شـديدة الحـر صـيفا، وعـرة قاسـية الطقـس شـتاء، غزيـرة الأمطـار. وهـذا مـا جعلهـا معروفـة بثرواتهـا الزراعيـة. كثيـرة المراعـي، فهـي علـى نهـر كبيـر يسـمى مسـية (ميسـاس)، ولهـا نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى (نانس)[2] .

قـال الله تعـالى: ﴿ وَجَعَلْنَـا مِـنَ الْمَـاءِ كُـلَّ شَـيْءٍ حَـيٍّ ۖ أَفَـلَا يُؤْمِنُـونَ﴾[الأنبيـاء: 30]، ووقع هذا النهر في شرقيها[3].

واحتـوت تيهـرت علـى أربـع أبـواب، بـاب الصـفاء، وبـاب المنـازل، وبـاب الأنـدلس، وبـاب المطـاحن. ولهـا قصـبة مشـرفة تسـمى المعصـومة شـديدة البـرد، كثيـرة الغيوم، حيث وصفها الدرجيني بقوله:

مـا أحسـن البـرد وريعانـه ****وأطـرف الشـمس بتـاهرت

تبـدوا مـن الغـيم إذ مـا بـدت* كأنهـا تنشـر مـن تحـت**

فنحن في بحر بلالجة** تجري بنا الريح على السمث .[4]**

إن مـا ميّـز تيهـرت وموقعهـا التلّـي المشـرف علـى الصـحراء، حيـث وقعـت فـي قلـب المغـرب الاسـلامي وتوسّـط موقعهـا الريـف والصـحراء، وهـذا مـا جعلهـا بعيـدة عـن الأخطار.

[1] فاطيمة مطهري، مدينة تيهرت الرستمية، دراسة تاريخية، رسالة ماجيستير، ص 61

[2] سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص295.

[3] ياقوت الحموي، المرجع السابق،ص8.

[4] الدرجيني، طبقات الشارح بالمغرب، تحقيق طلال، الجزء الأول، مطبعة البعث، تونس، ص.43

أهمية تاهرت التاريخية :

عرفت بلاد المغرب وضعية سياسية جادة فرضت علىالإباضية إقامة مدينة تكون حرزا لهم[1]، وهي تاهرت بفتح الهاء وسكون الراء والتاء فوقها نقطتين هما اسمين لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لإحدا هما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة[2].

فتاهرت القديمة ذات سور على جبل ليس بالعالي وبها أسواق عامرة ، حيث أنها وقعت على سفح جبل يسمى جزول[3]، وتاهرت الحديثة ضمت قبيلتين" لواتة وهوارة"، وفي غربها زواغة وفي جوفها مطماطة وزناتة في شرق تاهرات القديمة[4] .

فبعد هزيمة الاباضاية هرب عبد الرحمن بن رستم إلى بلاد المغرب الأوسط فقد وجدها أرضا خصبة لاقامة الدولة الجديدة واختلفت الآراء حول تاريخ تأسيسها، فقد ذكر ابن الصغير أن تيهرت تأسست سنة 144هـ[5]، أما الدرجيني. فقدذكر بأن عبدالرحمن بن رستم ولّي إلى تاهرت على رأس سنة مائة، بينما ذكر بعضهم أنه ولي سنة 162هـ[6].

أما عبد الرحمن الجيلالي قال أن تيهرت المعروفة بتاقدمت غرب المدينة الرومانية تيارت حاليا على نحو خمسة أميال منها، وكان شروعهم في بنائها سنة 148هـ- 765م، ثم كانت بيعة عبد الرحمن بن رستم للإمامة سنة 170هـ-887م، وبذلك كان عبد الرحمن أول مؤسس لتاهرت[7]. فمن بين أهم الأسباب التي جعلت عبد الرحمن يولى في بلاد المغرب، أن جماعة أهل الدعوة اتفقوا على أن

[1]ياقوت الحموي، المرجع السابق،ص7.

[2]الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، ط 1 ، مكتب لبنان، د س، ص 121.

[3] المصدر نفسه، ص121.

[4]المصدر نفسه، ص122.

[5]عصام الدين عبد الرؤف الفقهي، تاريخ المغرب والأندلس، ج1، مكتبة النهضة، جامعة القاهرة، ص150.

[6]الدرجيني، المصدر السابق، ص132.

[7] عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 219-221.

ينتخبوا موضعا يبقون فيه، فأرسلوا رجالا من ذوي المعرفة وفرقوهم في جماعات يتخيرون موضعا[1]، فوقعت أنظارهم على تيهرت، واتفقوا مع أهل تيهرت القديمة على شيء معلوم يأخذونه على غلّتهم، وكانت تيهرت عبارة عن رياض لا عمارة فيها يجوبها السباع[2].

العوامل التي ساعدت على تأسيس تيهرت:

ساهمت مجموعة من الأحداث في دفع الإباضيين إلى تأسيس مدينة تيهرت، ومن أبرز هذه الأحداث الاضطهاد الذي تعرض له الإباضيون في طرابلس وناحية نفوسة، فأدت الحملات التي استهدفتهم إلى فرارهم جنوبًا نحو منطقة تيهرت[3] في جبل سوفجج.

ويرجّح بعض المؤرخين أن قبائل بربرية تُدعى "ورفجومة"، والتي كانت تقيم في القيروان، ساهمت في تأسيس تيهرت، وقد طُردت هذه القبائل من القيروان من قِبل الحاكم عبد الأعلى بن السمح سنة 110 هـ، بعد أن عيّن عبد الرحمن واليًا على المنطقة.

أما عن اختيار موقع تيهرت فتذكر بعض الروايات أن موقع المدينة اختير بطريقة غير اعتيادية، حيث كان السكان يبنون في النهار، لكنهم يفاجؤون بانهيار ما بنوه خلال الليل،ولهذا قرروا بناء المدينة في الجهة السفلى من المنطقة.[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص221.

[2] الدرجيني، المصدر السابق، ص133.

[3] يحيى ابو زكرياء, سير الائمة واخبارهم، تح، اسماعيل العربي ,دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان ،1402, 1982 ص 71.

[4] الدرجيني, طبقات التاريخ بالمغرب ,ت.ح طلاي ابراهيم جي واحد 1 مطبعه البحث قسنطينه الجزائر 1394- 1974 ص 35

كما كانت المنطقة مليئة بالوحوش و منها السباع ، فتم إرسال منادٍ يأمر الحيوانات بالخروج منها، ويقال إنهم رأوا الحيوانات تغادر المكان.

أما رواية البكري عن تأسيس تيهرت، فقد ذكر أن الناس اجتمعوا على موقع تيهرت لما فيه من خصوبة وموقع استراتيجي، فتنازل بعضهم عن أراضيهم لصالح بناء المدينة، ويقال إن عبد الرحمن بن رستم نزل في مكان يُعرف موضعا لا شجر فيه، مما جعل البربر يقولون: "نزل الإمام في المكان"، فثبتت المدينة واشتهرت، خصوصًا في الربيع، حيث كانت تقام فيها صلاة الجمعة.[1]

شارك عبد الرحمن في اعمار المدينة فعندما وفدت الرسل المحملة بالاموال لتسليمها له وجدوه على بيته يعمل بيده السقف والعبد يناوله الطين، فاشار عليه أصحاب له بأن يقوم باعطاء الاموال للفقراء يشتري السلاح والعدة، ففعل ذلك وبهذه الاموال عاش الفقراء وأقيمت أعراس البنات وأجريت الانهار[2] ، ولهذا أصبحت تيهرت تقارن بكبرى مدن المغرب بسب كثرة الوافدين إليها من أهل العراق وغيرهم حتى أصبح المرء لا يصادف دارا إلا وقيل هذه لفلان الكوفي والأخرى لفلان البصري .[3]

كما أن اختطاط تيهرت كان على طريقة البناء الذي اعتمد في بناء المدن الاسلامية الكبرى كالقيروان وغيرها، فقد شرع الإباضيون في تشييد المساجد من بينهم بدات المسجد الجامع الذي وجت فيه اربع بلاطات .[4]

---

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ص 8.

[1] الصغير المرجع السابق 35.

[3] مصطفى عبد القادر مؤرخ العربي مجله فجل تاريخيه حكمه العدد 34 23 1408 1987 ص 187.

[4]. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، تح سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء1985، ص 178

واختط الناس مساكنهم فانتشرت الدور والقصور والبيوت والاسوار واحاطوا المدينة بعد ذلك بصور محكم[1] ، فبقيت عاصمة الدولة الرستمية تيهرت الى غاية سقوطها واعتبرت من اهم الحواضر في المغرب ومن اهم مراكز العلم والدين.

[1] نفسه، ص 178.

الفصل الأول :
الدور الإقتصادي لتيهرت

المبحث الأول: الزراعة

شهدت بلاد المغرب الاوسط في ظل قيام الدول الرستمية بالاستقرار السياسي الذي عرفته ازدهارها في مجالات مختلفة منها الزراعه .[1] فقد عرفت تيهرت بخصوبه تربتها وهذا ما جعل الزراعه متطورة ومزدهرة وهذا ما شملته مختلف اقاليمها ففي منطقه تيهرت المرتفعة حيث الجو بارد وكثير الانداء والامطار حيث ذكر ابن الصغير ان تيهرت لما استقبلهم من الاحمال الثلاثه الاولى من المشرق في عهد الامام عبد الرحمن بن رستم وزعت على الفقراء الكراع والسلاح[2].وهذا ما بعث نشاطا في المدينه ويقول ابن عذارى كان حولها بساتين من كل انواع الثمار وكثيرة الأشجار.[3] وذكر بحاز إبراهيم أن الأنهار المحيطة بالعاصمة "تاهرت" قد ساعدت بفي بعث النشاط الزراعي مما دفع الفلاحين إلى عدم الإكتفاء بالأراضي الزراعية المهيئة فقط، بل إلى احياء الموات وغرس البساتين وإجراء الأنهار وإتخاد الرحاء والمستغلات[4].

ولا يخفى علينا ان تيهرت ومقوماتها المائية.[5] ساعدت في إنتعاش المجال الزراعي، وان وقوعها بين نهرين عظمين نهر مينة ونهر آخر يجري اليها من عيوب تتجمع تسمى تاتش ، وهذان النهران يصبان في عين جبل ويضاف الى ذلك وفرة الامطار وغزارتها. وهذا ما جعل النشاط الفلاحي بها يزدهر .

---

[1] محمد عيسى الحريري، الدوله الرستمية بالمغرب الاسلامي، حضارته وعلاقتها الخارجيه بالمغرب والاندلس، ط 3، 1968.دار القلم للنشر والتوزيع .د.م. ص 230

[2] بحاز ابراهيم بكير، الدوله الرستميه، دراسه في الاوضاع الاقتصادية والحياه الفكريه، ط1-2، دار النشر جمعيه التراث، 1414ه 1993م، ص 142

[3] المرجع نفسه، ص 142

[4] ابن عذارى المراكشي، بيان المغرب في أخبار المغرب، د ط، مكتبه صادر، بيروت، ص 78.

[5] محمد عيسى الحريري مرجع سابق، 235

كما ان الرستميون لم يكتفوا بهذه الانهار فقط بل وضعوا خزانات واحواض للمياه لقول ابن الصغير .[1]شرعوا في العمارات... واجراء الانهار وشق الترع.[2]

– واضافه لما سبق كان بتيهرت ناس وجمل من البربر لهم تجارات وبضائع واسواق عامره وبأرضها مزارع وضياع جمّة، وبها من نتاج البراذن والخيل كل من حسن، وأما البقر والغنم فكثيره .

–ولم تقتصر تيهرت في زراعتها على البساتين فقط، بل حتى زراعة الحبوب بأراضيها الشاسعة، قال المقدسي بلخ المغرب قد أحدق بها الانهار والتفت بها الأشجار.[3]

وقال ابن عذارى في ذلك أيضا:" كان حولها بساتين من كل انواع الثمار، وكثيرة الاشجار، وهي شديده البرودة والامطار.[4] ناهيك عن البساتين التي تفيض بكل انواع الاشجار الفواكه كالتين والكوروم[5] والتمور، وكانت من بين المناطق التي زرع فيها النخيل هي (ورجلان) [6]، وهكذا جمعت تيهرت المنتوجات الزراعية [7]بين المزروعات التلية والصحراويه، وكثره المراعي فيها، فهي تسير جنبا لجنب مع الزراعه .وجغرافيه عاصمه الرستميه تيهرت جعلها مدينه آهلة بين الجبال واوديه ليس لها فضاء، بينها بينها وبين البحر المالح مسيرت ثلاثة رحلات في مستوى من

[1]ترعه قناه للسقي او الملاحة، احمد عمار مختار، معجم اللغه العربيه المعاصره، مجلد 01 ، ط1،عالم الكتاب، مصر، سنه 2008 – ص 200

[2]الادريسي، وصف افريقيا الشماليه والصحراويه، دار الكتاب الجزائر، 1376 هـ 1957،ص 60

[3]المقدسي، احسن، تقاسيم الارض، دار صادر لبنان 1909 ص185

[4]ابن عذارى المراكشي، البيان، المغرب اخبار المغرب، ط1، مكتبه صادر، بيروت 1950 ص198

[5]ورجلان: هو بلاد خاصيب كثير البساتين من طرق الصحراء، محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبه لبنان 1984 ص 60 .

[6]قدور الوهراني، جوانب من التاريخ الاجتماعي، والاقتصادي لمدينة تيهرت، ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد5، وهران– الجزائر 2010 ، ص 184

[7]اليعقوبي، البلدان، ط1، دار الكتب العلميه، بيروت لبنان ، ص 197

الارض، وفي بعضها سباغ وواد يقال له وادي شلف، وعليه قرى وعمارة بينهما، كما يفيض نيل مصر يزرع عليه الكتان السمسم وغير ذلك من الحبوب ويحيى الى جبل بيا .[1]

وكانت الاراضي تزرع بالنصف اي يزرع نصفها ويترك الاخر بورا.[2]ولم تقتصر الزراعه على عامة الناس بل حتى أصحاب السلط، مثال ذلك عبد الوهاب من كبار ملاك الارض للزراعة[3] وكان له صاحب يدعى محمد بن جرني. قال عبد الوهاب: أنا بالذهب ومحمد بن جني بالحرث، وابن زليفة بالأنعام. كما كانت تيهرت ضامة لعدة قبائل منها لواتة وهوارة ونفوسة، في غربها فكانت لمزانة حول المدينه. ظهر منها رجل يدعى "ابو يعقوب المزاني" كان من اصحاب الثروه في تاهرت [4]، ومن مظاهر الانتاج ايضا كثره غلال الحبوب، خاصه القمح، وكثيرة الرحاء المقامة على أودية المدينة كواد مينة الذي قال عنه ابن الصغير أن ضفافه عامره بالأرحاء، وان من بين ابواب المدينه باب يعرف باسم باب المطاحن[5]، و لم تقتصر الزراعه على الجانب الفلاحي فقط، بل حتى على الثروه الحيوانيه، وقد وفقد ساعدت كثرة المراعي في احواز تيهرت على تربيه الغنم والبقر وانتاج الصوف واللبن ومشتقاتهم، قال ابن حوقل أنه يكثر عندهم احد معادن الدواب والغنم والماشيه [6].

وان ترابط الفلاحه والزراعه قد ورد في القران الكريم في عدة مواضع قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾[الواقعة: 63]، وقال ايضا: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾[سورة الزمر: 21].

---

[1]اليعقوبي، المرجع السابق، ص 197

[2]جوده عبد الكريم، المرجع السابق ص 22

[3]نفس المرجع، ص 25

[3]مكي زيان، النشاط الفلاحي بالمنطقه تيارت خلال العهد الرستمي، المرجع السابق، ص 183

[5]نفس المرجع، ص 183

[6]ابن حوقل ، صورة الارض، ط1، بيروت– لبنان ، 1978 ،ص 223

وتعود أسباب وفره المحاصيل والحيوانات في مدينه تيهرت إلى توفر الأمن والتفقد المستمر من طرف الحكام ، وضف الى ذلك طبيعه المناخ. اذ كانت معظم مناطق تيهرت رعويه وكثيره الغنم والماشيه ولقد تغنى الكثير بجغرافيه تيهرت قائلين:

ما احسن البرد وريعانه واطرف الشمس بتيهرت
تبدو من الغيم اذ ما بدت كأنها تنشر من تحت
فنحن في بحر بلا لجة تجري بين الريح على السمث
نفرح بالشمس اذا ما بدت كفرحه الذمى بالسبت.[1]

اهتم الرستميون بالانتاج الزراعي خصوصا في القرن الثالث لأنها مثلت مرحلة الاستقرار وخصوصا عاصمة تاهرت التي كانت بيئه خاصة بازدهار الزراعه، فانتشرت زراع' القمح لأنها ماده أوليه لأغلب السكان وخصوصا أنها لا تحتاج الى امطار كثيره، وتخزن لمدة طويلة داخل المطامير[2] .

ووصف الدرجيني فتره الحصاد بقوله فاذا قدم فح

صد الناس زروعهم ولقط اللاقطون السنابل[3]، والذي ترك لا يذهب هدرا ، بل ترعى فيه المواشي، حيث عرف نشاط الرعي وتربية المواشي كثافة لمافيها من منافع، حيث انها بلد الزرع والضرع[4]، والمقصود بالضرع هي المواشي، فكان يستفاد من حليبها و جلودها في الجانب الصناعي، ولم تقتصر تربيه المواشي فقط، بل حتى الخيول التي استخدمت للحرب وللتنقل ، وكذا تربيه النحل كعلاج لبعض الامراض بسبب فوائد العسل [5]، حيث اشار الشماخي الى تنوع الثروه الحيوانيه بقوله: " كان

[1] البكري المسالك والممالك الجزء اثنان دار العربيه للكتاب بيت الحكمه 1992 صفحه 734

[2] المطامير هي اجواف تحت الارض يخزن فيها الشعير والحبوب عامه، جوده عبد الكريم، المرجع السابق، ص 41

[3] الدرجيني، المصدر السابق، ص 293

[4] اليعقوبي، مرجع سابق، صفحه 104

[5] ابراهيم بحاز ، مرجع سابق 161

لشخص مدعو بلبيب بن زلغين ثلاثون ألف ناقة، وثلاث مائة ألف شاة، و اثنا عشرة ألف حمار.[1]

المبحث الثاني: الصناعة

ازدهرت الصناعة هي الاخرى مثل الزراعة في المجتمع الرستمي لتلبي حاجات افراده وكان يتوفر المواد الخام اللازمه لمختلف الصناعه اشتهرت بصناعه المستويات المنسوجات على اختلاف انواعها الصوفيه والكتانية والحريرية [2] وما لا يخفى لنا ان الهدوء والامن الذي ساد الاماره رافقه رخاء اقتصادي وهذا ما يتطلب ثيابا ونسيجا لحياه القصور[3] قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾[سورة التوبة: 105] وفي المغرب الاوسط على العموم اشتهرت بالانتاج النباتي والحيواني، فقد قامت الصناعه في هذين المجالين مثل الصناعه النسيجيه الذي اعتمدت على الصوف وتوفر المعادن ساهم في قيام صناع معدنية,[4] في هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له) رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق".

وقد استبدل البدو وبضاعتهم من الغنم والصوف والجلود والشحم والسمن والالبان المجففه والتمور المحلوبه من الاسواق الواحات بضائع ببضائع العاصمه تاهرت وتمثلت خاصه في حبوب من القمح والشعير[5]، ولهذا عملت الدولة الرستمية بكل جهد علي تنظيم الأسواق وأحكام ضوابطها كتنصيب المحتسب.

---

[1] الشماخي، مصدر سابق، صفحه 176

[2] عيسى الحريري الدوله الرستميه بالمغرب الاسلامي حضارهها وعلاقتها الخارجيه بالمغرب الطبعه الثالثه دار القلم للنشر والتوزيع جامعه اما حوره سنه 1408- 1987 م ص 232

[3] جودة عبد الكريم يوسف الاوضاع الاقتصاديه والاجتماعيه ص 87

[4] ابراهيم بحاز المرجع السابق صفحه 231

[5] المرجع نفسه، ص223.

وكما ذكرنا سابقا. لا يمكن لسوق أن يكون دون نظام مالي أي العملة فقد تداولت الدولة الرستمية عملتين رئيستان هما الدينار والدرهم[1]. وقال ابن الصغير كان يعقوب بن أفلح نزيه النفس ماجس بيده دينارا ولا درهما[2]. وقال الدرجيني ايضا في هذا الصدد عن إستقلالية الدولة بعملتها « بلغنا أن عبد الوهاب بعث ألف دينار إلى أخوانه بالبصرة ليشتروا بها كتبا [3]».

أما السكة مضروبة بإسمها الاباضية؛ أهل تاهرت ضربوا في بلادهم سكة بإسم بلدهم الاباضية وكانت هذه العملة في عهد عبد الرحمان[4].

فقد سارت القوافل محملة بالسلع والبضائع في جميع الاتجاهات وهذا ينعكس بدوره علي الصناعة إذ أن تصريف السلع يعني صناعة سلع جديدة[5]، فانظرا للموقع الاستراتجي الهام لتاهرت أهلها لان تحوزا علي اهمية تجارية واصبحت مصدرا مهما للتبادلات لذلك سميت ب" البصرة الصغيرة"[6]

اعتبرت تاهرت إحدى محطات العالم الاقتصادية الكبرى فهي واسعة الأخذ والعطاء فكانت الحبوب والازهار بأنواعها تزرع بأرضها والاسواق ملأى بمختلف البضائع والمصنوعات[7]، وقد إحتلت تيهرت مكانة في تبادلات تجارية ونظرا لاسواقها وصفها البكري: لها قصبة مشرفة علي المعصومة.... بتاهرت أسواق عامرة[8] .

---

[1]المرجع نفسه، ص223-224.

[2]عيسى الحريري، مرجع السابق، الدولة الرستمية بالمغرب ص235

[3]الدرجيني، المصدر السابق، ص 56

[4]فاطمة مطهري، المرجع السابق، ص168.

[5]جودت عبد الكريم، الاوضاع الاقتصادية، المرجع السابق، ص90

[6]موريس لومبار، الاسلام في مجده الأول من ق2الى ق 5ل 8الي 11، تر، اسماعيل العربي، ط3، منشورات دار الاوفاق الجديدة، المغرب، 1990ص،50

[7]الادريسي، مصدر السابق، ص 61

[8]المصدر نفسه ص 62

فقام الرستميون بإنشاء أسواق التي إحتوت علي دكاكين في مختلف بقاع الدولة الرستمية قال الادريسي بها ناس وجمل من البرابر لهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة[1]

وكانت لهذه السكك والعملات إضافة إلى مكاييل وأوزان قنطار الزيت في تاهرت فيذكر البكري أنه قنطاران غير ثلث فلنطار الزيت في تاهرت حوالي82كيلوغراما في قرطبة[2].

فاستعملت الاوزان والوحدات لتسهيل عملية التعامل بين التجار فمن المكاييل التيهرتية نجد المد الذي يكتالون به القمح وغيره يعادل خمسة أقفزة ونصف قرطبية[3]

وذكر في كتاب الله قوله تعالى "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ". سورة آل عمران آية 104

وكما كان قنطار الفلفل وغيره من المواد المستوردة في تاهرت بأنه قنطار عدل وإن أعتبر قنطار عدل فهو قنطار قرطبي فهذا يعني أن قنطار الفلفل في تاهرت =49 كيلوغراما قرطبي وكانت الاوزان مصنوعة من الرصاص تطبع بإسم الحاكم[4].

وقد حظيت الصناعة النسيجة بأهمية بالغة في تيهرت خلال العصر الوسيط وهذا راجع لتوفر المادة الخام كصناعة الصوف[5].

[1] فاطمة مطهري، مرجع السابق ص221

[2] جوده عبد الكريم المرجع السابق صفحه 184

[3] فاطمه مطهري المرجع السابق صفحه 169

[4] جوده عبد الكريم المرجع السابق صفحه 184

[5] المرجع نفسه، ص 89-90

وقال ابن الصغير في هذا الصدد "مارأيت شرافة من القصرين إلا عليها ثوب أحمر وأصفر علي الجدار كالبدور"[1] وهذا إن دلا يدل علي مكانة الصناعة النسيجة في الدولة الرستمية.

ومن أهم الصناعات أيضا التي عرفتها الدولة الرستمية هي صناعات الخشبية عرفت تاهرت بثرواتها الغابية لكونها تقع في منطقة غابية فأقدموا علي صناعة الصناديق الخشبية والخزائن والابواب[2].

فاتاهرت كان بها العديد من الدباغين والحرفيين والخياطين فقدم الوفود والرفاق من كل الامصار وأقاصي الأقطار وليس لأحد ينزل من عرب إلا إستوطن معهم ولا ترى دار إلا قيل هذا فلان كوفي وهذا فلان البصري[3]وهذا الاحترافهم في حرفة معينة حتى لقب كل من امتهن حرفة بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله يحب العبد المؤمن المحترف".

وتعد تاهرت منطقة خصبة ماجعلها تمتاز بوجود نباتات صناعية ساعدت علي تطور الصناعي منها: الكتان ذكر القلقشندي أن مدينة بونة مدينة عامرة خصبة الزرع يزرع بها الكتان كثيرا[4]

وكذلك وجد نبات الشهدانج وهو نبات ذو أصول فارسية يشبه القنب كان يستخدم في الخياطة لكون خيوطه قوية ومتينة[5].

وتوفرت تيهرت علي الحطب الذي كانت المادة الخشبية مصدره ودعم هذا قول ابن عذارى ان تيهرت كانت حولها "بساتين كثيرة الاشجار "[6].

---

[1]ابن الصغير، اخبار الأئمة. الرستميين، تح محمد ناصر، دط، دار الغرب الاسلامي، د. س.، ص 87

[2]ابراهيم بحاز، مرجع السابق، ص 470

[3]ابن الصغير، مصدر السابق ، ص32

[4]القلقشندي، صبح الاعشى، ج5،دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/ 192م، ص106.107

[5]جودت عبد الكريم، المرجع السابق ص 55-56

[6]ابن عذارى المراكشي، مصدر السابق،ص 198

وهذا ما انعش صناعة السياج الخشبية والكراسي وغيرها.

وان اتساع العمران في المغرب الاوسط وخاصة في تيهرت عاصمة الرستمية جعلها تتقارب بدمشق وقرطبة حيث قال المقدسي"تيهرت إنتعش فيها الغريب يفضلونها علي دمشق"[1].

كثرت الكماليات بتطور الصناعة وتأنق الصنائع واستجادتها وتزايدت صنائع اخرى معها مما دعى الي وجود ترف ووجد الجزار ودباغ وصائغ [2].

المبحث الثالث: التجارة

إن النشاط التجاري في الإمارة الرستمية أخذ دوره في التحولات الاجتماعية حيث لعب التجار الرستميين دور الوسيط التجاري بين المشرق والمغرب الاسلامي[3].

فكانت التجارة تنتقل عبر الصحراء من بغداد والبصرة، انقسمت التجارة الى نوعين تجارة داخلية وخارجية:

1. التجارة الخارجية:

لقد استخدمت تاهرت الرستمية عددا من النظم في تجارتها الخارجية منها النقود فقد خدمت النقود بشكل كبير الحركة التجارية، ولم تشكل عملية التبادل التجاري بين الدولة الاسلامية عائقا نظرا لعدم اختلافها[4].

كان لرستميون دورا في مجال التجارة حيث تفوقو فيه، فلم تقف الخلافات السياسية والمذهبية بين الرستمين وجيرانهم وهذا مااعطى لتاهرت صدارة في

[1] المقدسي، المصدر السابق، ص115

[2] ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأوالخبر، ج1، بيت الافكار الدولية، ص203

[3] فاطمة مطهري، مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية ق2،3هـ/ 8،9م ، مذكرة ماجستير، تاريخ المغرب الاسلامي، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، س2009، ص-222-

[4] مرجع نفسه، ص223

تجارة[1] ،كما ان وقوع عاصمتهم تاهرت علي طريقين من أشهر الطرق التجارية جعالت منها مركز لتبادل التجاري بينها وبين دول السودان[2].

وكان للاباضية دور كبير في انتعاش التجارة في المغرب الاوسط وبلاد الصحراء، فقد ضمت جماعة الاباضية كثيرا من تجار الذين وجدوا الأمن وفي ظل هذا الاستقرار الأمني تحولت تاهرت الي نقطة استقطاب القوافل التجارية متجهة شرقا إلى القيروان[3]، وبهذا ازدهرت القيروان اقتصاديا خاصة في عهد الاغالبة، حيث انتشرت زراعة الحبوب وزيتون واستخراج المعادن مثل الفضة [4]

اما علاقة التجارية بين سجلماسة وتيهرت كانت طيبة حسنة تربطها المصاهرة، وكذلك بفضل الطريق الرابط وبين تلمسان وهناك أخر يربط بين فاس وسجلماسة[5].

أما بخصوص صناعة أدوات الزراعة تمثلت في صناعة المحاريث ومناجل وفؤوس وغيرها... من أدوات الزراعة البسيطة وكذلك نجد الصناعات الزراعية منها صناعة زيت الزيتون والقمح خصوصا جبل نفوسة[6].

اعتبر شجر الزيتون هو شجر موطنه البحر الابيض المتوسط حيث ان تيهرت عرفت بيه فهو مول عدة صناعات منها الروائح العطرية والطبية وحت صناعة الصابون[7].

---

[1] محمد عيسى الحريري، ص223

[2] مرجع نفسه، ص212

[3] حسن مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، دط، دار الارشاد، 2004،ص120

[4] فاطمة مطهري، مرجع السابق، ص167

[5] فاطمة مطهري، مرجع السابق، ص174.

[6] ابراهيم بحاز، مرجع السابق، ص231

[7] مرجع نفسه ص231-232

اما بخصوص المناجم فقد تعددت، حيث انها أمدت الصناع بحاجاتهم ولوازم صناعتهم ففي جبل أرزوا توفر معدن الحديد والزئبق والخشب والعطور فقد عرف الرستميون صناعة الطواحين الذي اقيمت علي ضفاف الانهار وشقت تيهرت[1].

استفادتاً من تدفق المياه لادارتها وتحويلها قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾[سورة النور: 35].

تحولت مدينة تاهرت إلى مركز جذب وإستقطاب للتجار والتجارة من مختلف الاقطار وتحولت إلى أهم مركز تجاري في المغرب الاوسط حيث قال ابن حوقل" فيها الكثير من الناس، والتجار والتجارة[2] وكثرت فيها الاسواق وتعددت حسب نوعية المنتجات المعروضة فيها وبرز عدة تجار منهم ابن وردة حيث كان له سوق يحمل اسمه[3].

وفي الأخير نستخلص أن تيهرت تبوأت بمكانة حضارية حيث مثلت أهم حواضر المغرب الاسلامي نتيجة مازخرت به من خاصيات طبيعية حتي لقبت ب"عراق المغرب " وهذا ما انعكس علي الجانب الاقتصادي، وتشجيع الحكام علي الزراعة وتربية المواشي انعكس علي الناس بإيجاب فقتدو بلأئمة وأقبلو علي الزراعة والرعي وهذا كله لتلبية حاجيات مجتمع الرستمي، خصوصا وقوعها في معبر القوافل جعل منها مركز تجاري بجدارة تمر عبره مختلف السلع.

[1] الجنحاني، المجتمع العربي الاسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ط4،مطابع السياية، الكويت، 2005،ص48

[2] ابن حوقل، مصدر السابق، ص86

[3] ابن الصغير، مصدر السابق، ص49

الفصل الثاني : الدور الثقافي والديني لتيهرت

الفصل الثاني: الدور الثقافي والديني لتيهرت

المبحث الأول: الهياكل التعليمية في تيهرت

شكّلت عاصمة الدولة الرستمية مركزًا حضاريًا وعلميًا في المغرب، وهذا ما دفع الرستميين إلى تشييد هياكل تعليمية متنوعة، كان لها دور في نشر العلم. ومن هذه الهياكل نذكر ما يلي:

أولًا: المساجد :كانت المساجد من أهم المؤسسات التعليمية التي تلقى فيها المسلمون تعليمهم. فقد كانت تقام فيها معالم التعليم الإسلامي، وتُدرّس فيها أصول الدين ومبادئ الإسلام. [1]

لم تكن المساجد مخصصة للعبادة فقط، بل كانت تؤدي دورًا آخر؛ حيث كانت تُلقى فيها الخطب، وتُعدّ محكمة للفصل في الخصومات، وفيها يُبايع الخلفاء، ويُدعى القوم للجهاد[2].

فقد كانت دولة قائمة على العلم والمعرفة، وكانت الكتابة موصولة بكل مسجد، وكان يُحتقر من يعرف العلم ولا يُعلّمه، أو لا يعمل بعلمه ولا يطبّقه. ومن بين العلوم التي دُرّست: علوم الحديث، والفقه، والتفسير، وغيرها من العلوم المنظمة، كما دُرّس فيها علم الفلك[3].

[1] بشير مبارك، تاريخ نشأة المدارس التعليمية في المغرب الإسلامي، المركز الجامعي عبد الله مرسلي – تيبازة، العدد 36، السنة العاشرة، 2018، صفحة 78.

[2] المرجع نفسه، صفحة 3.

[3] إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، المرجع السابق، صفحة 216.

والمسجد كان بمثابة منارة ومجتمع للمسلمين، ومركزًا أساسيًا للحياة الدينية والعلمية.فهو قلب القرية في الريف، وروح الحي في المدينة. وحوله كانت تتكاثر المساكن والبيوت والأسواق. [1]

ولكون المسجد هيكلًا مهمًا في كل حاضرة إسلامية، فقد كان أول ما قام به عبد الرحمن عند توليه الحكم في الدولة الرستمية هو بناء المسجد. وتعددت المساجد في عهده، مثل مسجد الكونين، ومسجد القرويين،[2] وهناك مساجد لا تزال قائمة إلى اليوم، منها مسجد سيدي ناصر.

قال الله تعالى: ﴿**"إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾[3] "(سورة التوبة، الآية 18.)

وقد احتضنت المساجد الأئمة، حيث كانوا يعكفون على العلم والتعليم. وكان الأئمة الرستميون يقومون بالتدريس في جامعة تيهرت وجميع نواحي بلاد نفوسة. وكان طلاب العلم يتلقون تعليمهم على أيدي كبار العلماء الإباضيين[4].

وتاهرت لم تكن العاصمة السياسية للرستميين فقط، بل كانت عاصمة ثقافية وحضارية، فكان مسجدها الجامع، وكان علماء دينهم لهم حرية المناظرة والجدال، التي كانت سائدة به[5].

---

[1]أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، جزء 1، تحقيق محمد غانم، وهران – الجزائر، 2005، صفحة 45.

[2]ابن الصغير، أخبار الأئمة، صفحة 32.

[3]سورة التوبة، الآية 18.

[4]عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، صفحة 489.

[5]التليسي، الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، 2023.

قال الله تعالى: ﴿" **في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه**﴾[1]."

وفي هذا السياق، قال ابن الصغير المالكي: "كانت مساجد طهرت عامرة، وجامعهم يجتمعون فيه، وخطيبهم يخطب، ولا يُنكرون عليه شيئًا، إلا أن الفقهاء كانت تنبت المسائل بينهم، وتناظرت,[2] فيها، حتى إن من تناظر في مجال الإباضية رُبِي ونُظِر، وحتى إن كان إلى غيرهم، كان سبيله كذلك." ومما يدل على هذه المساجد أنها نشطت فيها المناظرات الكلامية والفقهية، مما جعل المساجد تؤدي دورًا بارزًا في الحياة الفكرية في تاهرت، وجعلها قبلة للناس للاستفادة من تلك المناظرات[3].

قال تعالى﴿"**ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه**﴾[4]."

2-الكتاتيب:

لعبت الكتاتيب[5] دورًا مهمًا في الجانب الفكري والتعليمي في المجتمع الإسلامي، حيث انطلقت فكرة إنشائها في وقت مبكر من التاريخ الإسلامي، وتحديدًا في السنة الثانية من الهجرة النبوية.

[1]سورة النور، الآية 36.

[2]ابن الصغير، أخبار الأئمة، مرجع سابق، صفحة 117.

[3]إبراهيم بحّوس، الدولة الرستمية، صفحة 386.

[4]سورة البقرة، الآية 114.

[5]"الكتاتيب" هي جمع "كُتّاب"، وهو المكان الذي يتلقى فيه الطلاب تعليمهم الأساسي، وغالبًا ما كان يقع بجوار المسجد لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. العوجي، الوسيط في مادة "كتب"، ينظر أيضًا: "وقف الكتاتيب"، مؤتمر الجامعة الإسلامية، العدد 3، 2009، ص. 202.

وقد دلّت على ذلك رواية عن النبي ﷺ أنه جعل بعض أسرى بدر، ممّن لا مال لهم، يُعلّم كلٌّ منهم عشرة من غلمان المسلمين الكتابة,[1]مقابل إطلاق سراحهم، وهو ما يؤكد اهتمام الإسلام المبكر بالتعليم ونشر المعرفة.

وقد انتشرت الكتاتيب انتشارًا واسعًا في العواصم والمدن الإسلامية، حيث لم تكن هناك مدينة أو بلدة فتحها المسلمون إلا وأُنشئت فيها كتاتيب لتعليم الأبناء، من الذكور والإناث على حد سواء.[2] وكانت هذه الكتاتيب عبارة عن حجرات صغيرة، غالبًا ما تكون ملحقة بالمساجد، تُخصَّص لتدريس الصبية والشبان، وكانت تُعد من أوائل الهياكل التعليمية التي تلقى فيها الطلبة علوم اللغة والقرآن الكريم.

أما أساليب التعليم في الكتاتيب، فكانت بسيطة وبدائية، حيث كانت تتم باستخدام الألواح التي يُكتب عليها، وكان المعلم يُعرف بـ"المُعلِّم" أو "الفقيه". وقد عُرِفت الكتاتيب بأنها مدارس ابتدائية بدائية، وكانت تُعد النواة الأولى للمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي[3].

ولعل من أهم طرق التدريب المتبعة من قبل المشايخ والعلماء هي عبارة عن الحلقات العلمية بالمساجد والكتاتيب حسب الفئات العمرية، ولم تفتقر على تعليم النساء الأميات[4].

---

[1] حسن حسن عبد الغني، المرجع السابق، ص. 201.

[2] المرجع نفسه، ص. 201.

[3] عقيدة مزيان إسهامات علماء حاضرة تيهرت الرستمية وجهودها في الحركة العلميةجامعة عباس لفرور الجزائر ص322

[4] بلقري عبد الرحمن، جوانب من الحياة العلمية والثقافية بالمغرب، أطروحة دكتوراه، الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، ص 82.

3. المكتبات:

أسس الرستميون، وأُطلق عليها اسم "المعصومة"، ضمت هذه المكتبة ثلاثة مئة ألف مجلد في مختلف أنواع العلوم والفنون والآداب. كما اشتهرت في جيل نفوسة مكتبة,[1] سميت "خزانة نفوسة". ولم تنفي المصادر دور الأئمة من أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن أرسل ألف دينار إلى المشرق إلى إخوانه بالبصرة لشراء كتب.[2] كما كانت أخت الإمام أفلح بن عبد الوهاب عالمة بالحساب والفلك، وهذا ما مكّن من إبراز مكانة العلم في الدولة الرستمية.[3] وكان الإمام عبد الوهاب بن رستم (171– 208هـ) مكث في جبل نفوسة سبع سنوات يُلقي الدروس الدينية[4].

وهذا أيضًا، إلا أن الشيعة,[5] قاموا بإحراق أكبر مكتبة، وهي "المعصومة"، وتخريب كل ما هو متعلق بالمذهب الإباضي، وتركوا فقط بعض الكتب الخاصة بالطب والفلك[6].

ويقول ابن خلدون هذا الصدد: "اعلم أن العلم الذي يخوض بين البشر يتداولونه في الأمصار تحصيلًا وتعليمًا، العلوم الحكيمة (الفلسفة العقلية)، والثاني العلوم النقلية والوضعية[7]."

---

[1] أحمد بوزيان، تاريخه وحضارته المبرمجة نهائيًا، ص 16.

[2] محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 235.

[3] المرجع نفسه،ص235 .

[4] سعدو، الحركة الفكرية بالدولة الرستمية، عصور جديدة، العدد 14، 2011، ص 97.

[5] المذهب:الشيعي هو مذهب ديني سياسي نُسب إليهم بسبب تأسيسهم لعليّ رضي الله عنه، وكان لهم عدة فرق أخرى.سليمان داورين، حلقات التاريخ – المغرب الإسلامي: مجهودات الدولة الرستمية، الصفحة 58.

[6] الدرجيني ج 1، المرجع السابق ص 41.

[7] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار النشر للطباعة والنشر، بيروت، 2007، الصفحة 44.

وقال ابن خلدون إن هذا الوصف ينطبق على الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، الذي جمع بين الفقه والشعر، وكانت له حلاقات تدريس الفقه والأصول.[1]

وكما كان الإمام عبد الرحمن بن رستم، صاحب تيهرت،[2] مهتمًا بالعلم، مواصلا بما قام به الإمام أفلح ما فعله عبد الرحمن، فأنشأ قصيدة من ثمانية وثمانين بيتًا، منها:

العلم أبقى لأهل العلم أثارا وليلهم بشموس العلم قد نارا
يُحيى بذكرهم طول الزمان بك وشافيهم روحًا وأقام
حتى إن مات ذو علم وذو ورع كان في منهج الأبرار
أو أنها غُيّرت أشخاصهم ومضوا مات سيدٌ قضى من ذات أوطارا.[3]

المبحث الثاني: العلاقات الثقافية للدولة الرستمية مع دول المغرب

قبل أن نتطرق إلى مجال العلاقات الثقافية التي ربطت الدولة الرستمية، عامة وخاصة، لا يخفى علينا أن التجارة كانت تلعب دورًا كبيرًا في تنشيط الحركة الفكرية والثقافية، ونتيجة لذلك كان لها شأن في الميادين التجارية، وكانت ملتقى القوافل القادمة من مختلف الآفاق، فهي توسطت المغرب العربي[4].

[1]فاطمة مطهري، دور الأئمة في تيهرت الرستمية في تشجيع وتطوير الحركة الفكرية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية.2013م 1 ع1 2013 جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان ص 108

[2]أبو العباس الناصري، إستقصار لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الأول، تحقيق: جعفر الناصري، الدار البيضاء، الصفحة 181.

[3]أحمد بوزيان، تيهرتا، دار المهدي، الجزائر، 2006، الصفحة 14.

[4]الحاج إبراهيم، الدولة الرستمية، صفحة 194.

ولقد كان للرستميين واستيعابهم للمسالك أثر كبير، فيقول ابن الصغير: "استُعملت الإبل إلى جميع البلدان من المشرق والمغرب في التجارة والناس، والتجارة من كل الأقطار تاجرون .[1]

وكان هناك تواصل مع الأغالبة، ومن هنا عُرفت الدولة الرستمية، على غرار غيرها من الدول التي زامنتها، بأنها كانت تتميز بالتسامح، وهو ما جعلها تقوم على الود بين العاصمتين **:تاهرت** و**القيروان**، فلم يكن هناك قطيعة بينهما، بل كان هناك تأثير وتأثر، وتبادل وفتح، وتزاوج حضاري بينهما بطريقة شعبية مميزة، من خلال الحجاج والعلماء[2].

ومن هنا نستنتج أن رحلة الحجيج لعبت دورًا هامًا في نقل العلوم والعلماء بين الحجيج والعلماء الخارجيين، ولا يخفى دور الوراقين والنسّاخ في عملية انتشار العلوم وتنشيط التبادل الثقافي، فقد كانوا ينتقلون بين الأقاليم الإسلامية لشراء الكتب واستحسانها، وانتقل معهم الورق والكاغد، وكذلك الحبر، إلى القيروان[3].

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، صفحة 36.

[2] جودة عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية، جامعة الجزائر، المؤسسة الوطنية للمطبوعات، وحدة الرقابة، الجزائر، 1984، صفحة 111.

[3] فاطمة مطهري، عوامل ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في الدولة الرستمية، السنة السادسة، العدد 19، مارس 2013، ص 192.

وقد انتشر التعليم في تاهرت، حيث كان الرستميون يقومون بتدريس شتى العلوم في المساجد، وفي الوقت نفسه كانت القيروان قد انتشر فيها الكتاتيب وحلقات الدراسة، واهتم الأغالبة بالعلم،[1] فأنشأ إبراهيم بن الأغلب.[2] بيت الحكمة، وجلب إليه الكتب، وبرز عدد من العلماء الذين ربطوا الوصل بين الحاضرتين.

أما بني حماد، فكان من بينهم الطاهري دير (296هـ / 815 – 909م) وهو عبد الرحمن البكري بن حماد بن سمر بن إسماعيل الزناتي، أحد شعراء الطبقة الأولى في عصره، وكان عالمًا بالحديث ورجاله[3].

جَلَب إلى علماء عصره وأدبائه زادًا من العلوم والمعارف المهمة، ثم رحل إلى المشرق في وقت مبكر من شبابه عام 217هـ / 832م طلبًا للعلم والمعرفة. وتنقل بين بغداد، والبصرة، والكوفة،[4] وقد سافر من مسقط رأسه، **ظهرت**، إلى البلاد الشرقية وهو في ريعان شبابه.

توقّف بالقيروان، وقرأ بها الفقه والحديث، وهناك التقى بأكبر علمائها، خصوصًا يوسف الخزائمي وسحنون.[5] وبعد مغادرته القيروان، تفرغ للتدريس في جامع القيروان سنة 274هـ / 887م.

---

[1] جودة عبد الكريم، المرجع السابق، ص 109.

[2] إبراهيم بن الأغلب هو إبراهيم بن الأغلب بن العربي العتيان التميمي، كان عالمًا وأديبًا وخطيبًا.
فقدد أحسن التدبير في دولة الأغاربة كان حازمة الرأي عالما بالحروب حمادي الساجلي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1955، ص 6-5

[3] معجم الياسين: المستخفين في التاريخ العربي، جزء واحد، لبنى، 2001، ص 13.
انظر: الخطيب، تاريخ المغرب العربي، صفحة 14.
محمد صالح، سيرة وشعر بكرة بن حماد، مجلة سته، عدد 1، 2020، تيسمسيلت، ص 25.

[4] يحيى بوعزيز، المؤرخ في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، الطبعة الثانية، صفحة 122.

[5] محمد بن رمضان شاوش، الدرس الوقائعي عن شعر بني حماد الطاهري، الطبعة الأولى، مستغانم، 1988، ص45 .

لكن علاقته مع الآخرين، خصوصًا إبراهيم بن الأغلب وأحمد، جعلته يرجع إلى تاهرت، فاعترض طريقه قطاع الطرق، فجرح جرحًا بالغًا مما أدى إلى وفاته بالقرب من تاهرت سنة 296هـ[1].

وقد ترك قصيدة يرويها عنه ولده عبد الرحمن، يقول فيها:

بَكَتْني على الأحياءِ تَوَلَّوا دَلَوا

إنّي مَلَكتُ بكَ وَليها فيها تسليمُ وقائِك

كانَ دائرةً وَفقدُك قد أكياد

وَكَيَّفتني حُزناً يَأتي منك خَلوةً

وإنّك حيٌّ وبقيتُ حيًّا[2]

ويُعتبر **ابن حمار** أحد العلماء الذين كانوا صلة وصل بين مدينة تاهرت والقيروان. أما عن وفاته، فقد تُوفي قبل أن يُحصى عليه أبو موسى ابن باديس القيرواني[3].

ومن العلماء الذين اتصلوا بين المدينتين نذكر:

أبو علي الحمد بن الريب بن محمد الرحيمي التاهرتي القيرواني، وُلد سنة 380هـ / 990م، وتوفي سنة 440هـ / 1049م.[4] ذهب إلى القيروان لطلب العلم، وكان **محمد بن حفطر القزاز** مشرفًا على تعليمه، فبلغ الغاية في الأدب وعلم الحديث[5].

---

[1] علي محمد، الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرن الثالث هجري / الثامن ميلادي، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الأوسط، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2007، صفحة 96.

[2] سليمان الباروني، الأزهار الريضية، المرجع السابق ص 96.

[3] عبد الكريم جودة، العلاقات الخارجية، المرجع السابق, ص. 111–112.

[4] أحمد بوزيان، من أعلام عبر التاريخ، الجزء الأول، مطبعة صخري، 1433هـ / 2012م، ص. 60.

[5] صلاح الدين، الوفيات، إعداد أحمد وتركيب مصطفى جوج، دار النيران العربي، لبنان، ص. 201.

كما نذكر **أبا سعد يانج بن حداش التوزي**، الذي انتقل من **نقراوات** إلى القيروان، وروى عن **محمد بن سحنون**[1] .وقد ارتبط اسمه بالإمام **أفلاح بن عبد الوهاب**,[2] الذي أمر بنقله وتكريمه.

وفي المقابل، استقطبت تاهرت عددًا من العلماء، منهم **محكم الهواري** الذي نزل بالمسجد الجامع في تاهرت، وكان له ابن يُدعى **هود**، ألّف كتابًا في تفسير القرآن الكريم[3].

وكانت تيهرت أبرز المدن التي اعتُبرت قلاعًا للذكر والحضارة في بلاد المغرب والقيروان، حيث لعبت دورًا ثقافيًا، وارتبطت مساجدها بوظيفة ثقافية، إذ ساهمت في إقامة قواعد بين الشعوب. ومن بين هذه المدن، مدينة **وليلي** التي بُني فيها جامعا[4]، وكانت لها روابط مع مدينة **فاس**، عاصمة دولة الأدارسة.

وقبل أن نتطرّق إلى طبيعة العلاقة بين الدولة الرستمية والأدارسة، علينا أن نُشير إلى أن عاصمة الأدارسة كانت **فاس**، وأن الأدارسة كانوا من أوائل المذاهب الإسلامية التي ظهرت في المغرب، وبذلك شكّلوا أرضية ,[5]ثقافية وفكرية نشطة.

وقد عُرفت الدولة الرستمية بحركة علمية وأدبية نشطة، إضافةً إلى دور الحجاج الذين ساهموا في التبادل الثقافي. وكانت العلامة الثقافية فيها مبنية على الثقافة الإسلامية، بغض النظر عن المدن أو الأسر الحاكمة[6].

---

[1] محمد بن سحنون، احد رجال القيروان أبو عبد الله محمد بن سحنون سامعة من أبي سحنون الدي كان إماما في الفقه عالما بالمذاهب أهل المدينة ابن سحنون آداب المعلمين، تحقيق حسن حسني، تونس، 1972ص. 15.

[2] إبراهيم بحاز ، الدولة الرستمية، مرجع سابق، ص. 309.

[3] جودة عبد الكريم، المرجع السابق، ص. 84.

[4] أنور الرفاعي، الإسلام وحضارته، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1982، ص. 358.

[5] طقّوش، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا وبلاد الشام، دار النفائس، لبنان، 2001، ص. 25.

[6] جودة عبد الكريم، المرجع السابق، ص. 203.

كما أن انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى قد تأثّر بمدينتي **قرطبة والقيروان**، وبالحجاج والرحّالة المتجهين إلى الحجاز[1].

لم يستطع الأدارسة أن يُلزموا رعيتهم باعتناق مذهبهم الزيدي، بل حكموا البلاد حكمًا مالكيًا. وخير مثال على العلاقات الثقافية بين الناس بين فاس وتيهرت ما ورد عن المتجول **بكري بن حماد**، الذي مدح حكام فاس بقوله:

إن لم أكن مشتاقًا إليك، فإنما سُمِّي الاشتياقُ اشتياقًا لأقْدِمَ

فابعث إليّ بموكبٍ أسمو به حولي، أكونُ إليك أول قادمِ[2]"

3.التواصل مع بني مدرار: كانت علاقة بين المغاربة، وكانت **سجلماسة**[3] عاصمة قائمة على حسن الجوار. وكان المذهب فيها صفيريًا، أسّسه **ابن يزيد الأسود**[4].

إضافة إلى ذلك، فإن الدولتين (الرستمية والمدرارية) كانتا تتبعان المذهب نفسه، إذ يُذكر أن **أبا القاسم** كان إباضيًا صفريًا. كما ساهم تنقّل القوافل التجارية داخل البلاد وخارجها في تعزيز العلاقات. ونفس الأمر ينطبق على الدولة الرستمية[5].

---

[1]الحجاز هي قطعة من بلاد العرب التي اشتهرت بثقافتها الحديثة على اوسعها وقعت بين الجحفة وجبل طي حسين محمد تصنيف ، تاريخ الحجاز، ص. 10.

[2]ابن عذارى مراكشي ، المرجع السابق، الجزء الأول، ص. 236

[3]حسن حافظي علوي، سجلماسة مجال واسع، المملكة المغربية، 1997 / 1418هـ، ص. 81.

شهادة ماجستير، يحيى عين بن يزيد الأسود، مواطن سجلماسة، ذو أصل من طائفة المغرب من البربر، مكانه سنة 140 هـ.

[4]حسن حافظي علوي، سجلماسة مجال واسع، المملكة المغربية، 1997 / 1418هـ، ص. 81.

شهادة ماجستير، يحيى عين بن يزيد الأسود، مواطن سجلماسة، ذو أصل من طائفة المغرب من البربر، مكانه سنة 140 هـ.

[5]بهلولي سليمان العلاقات السليمانية والإمارات العلوية، تحقيق: غار الشمري، الطبعة الأولى، الجزائر، 2001، ص. 312.

وقد زادت الروابط بين الدولتين بعد المصاهرة، حيث تزوجت ابنة ، **عبد الرحمن،** من **اليسع بن إلياس**[1].

ولا ننسى أن الدولة الرستمية الإباضية قد ربطت علاقات مع الصفرية على أساس المذهب الخارجي، وتحالفهم ضد الأدارسة في المغرب. ة[2]. وبالتالي، لم يكن هناك اختلاف كبير يؤثر على العلاقة بين عاصمتها **سجلماسة،** حتى إنّ المؤثرات الفكرية بدأت تظهر بكثرة، واستحوذت على فكر بعض أئمة سجلماس.[3]

كما كانت القوافل بين العاصمتين غير منقطعة، وكان بعض التجار إباضيين، مما ساعد على نشر الفكر الإباضي بدورهم، ونقل المذهب، وبالتالي بروز الفكر الإباضي[4] , في سجلماسة. حتى أنهم كانوا يتشاورون في أموال الفتوى، ويأخذون رأي بعضهم في مسائل الدين، حيث اتفقوا مع **أبي ربيع** في مسألة كانوا يقتتلون من أجلها، فلما لامهم ورجعوا إلى رأيهم، رجعوا إلى الصواب.

واستمرت **سجلماسة** في التواصل مع أبي ربيع، وكذلك نجد من العلماء **ابن جميع،**[5] أحد العلماء الذين وُثّقت صلتهم الثقافية.

---

[1] محمد عيسى الحريري، مرجع سابق، ص. 206.

إيهاب أحمد سهل، تاريخ المغرب العربي، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمّان، ص. 211.

[2]ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون – ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم من ذوي الشأن الكبير، دار الفكر، بيروت، الجزء الرابع، 2000، باب 16 إلى 18.

جودة عبد الكريم، المرجع السابق، ص. 21.

[3]حمدي عيسى الحريري، الدراسة الدولة الرستومية بالمغرب.ص 206 .

[4]د سهل، تاريخ المغرب العربي، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمّان، ص. 211،

.[5]إبن الجمعي : رجل من أهل الدعوة أقبل من بلاد المشرف تاجر وكان مطلعا على العلوم العقلية وليه طبقات المشاييخ الدرجيني ص 109

المبحث الثالث :التعايش المذهبي بتيهرت

رغم تعدد الأجناس من بربر وعرب وعجم وغير المسلمين الذين قطنوا في تاهرت، ورغم كثرة النزاعات المذهبية التي كانت تعكسها هذه الطوائف، فإن الشموخ المذهبي الذي ميّز أئمة الدولة الرستمية وعلماءها، ألف هؤلاء الجماعات[1].

وعند الحديث عن التركيبة العامة للمجتمع، نلاحظ خلوّه من الصراعات العرقية، إذ انصهر الجميع بفضل الثقافة الفكرية التي تجاوزت إطار الصراعات المذهبية.[2] وقد تبين أن رستم كان شمالاً للثقافة الدينية والأدبية، حيث يرى بعض الباحثين أن تاهرت شهدت نهضة عامة في شتى المجالات، [3]وتميزت بوجود عدة مذاهب، وذلك لعدة عوامل:

أولها، غزارة الإنتاج في العلوم الشرعية بسبب الاهتمام الكبير بأئمتها. وثانيها، أن القائمين على الدولة اهتموا بالعلم والفقه في الدين. أما ثالثها، فإن اختلاف المذاهب أدى إلى بروز ظاهرة المناظرات التي ساهمت في تكريس حرية المذاهب[4].

كانت الحياة الفكرية في الدولة الرستمية تمتاز بالتسامح المذهبي والديني، فقد كان فقهاؤها الإباضية يناظرون شيوخ المذاهب الأخرى، ويفتحون المجال لكل شيخ مذهب أن يدافع عن مذهبه.

---

[1] شريف بن الحاج، علماء التفسير والشريعة في الدولة الرستمية، مرجع سابق، ص. 21.

[2] معمر حجيج، الحياة الثقافية والفكرية في حاضرة تاهرت، ص. 35.

[3] شريف بن الحاج، علماء النشط والشريعة في الدولة الرستمية، مرجع سابق، ص. 21.

[4] محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، المرجع ثابت، ص. 93.

فاطمة مطهري، دور الأئمة الرستميين في تشجيع تطور الحركة الفكرية، ص. 106.

وقال ابن الصغير إن مناظرات كانت تجري بين الفقهاء بطريقة سلسة لبقة،[1] وإن من يتمكن من تاريخ المغرب الإسلامي يعلم أن الحياة الفكرية بمختلف اتجاهاتها في تاهرت شملت الجوانب الدينية، والمتمثلة في المذاهب الإسلامية المختلفة،[2] وقد ثبتت هذه المذاهب مثل الخوارج،[3] والشيعة، والمعتزلة.[4]

أما الفقهية، فكان من بينها المالكية، كما أن المذهب المالكي كان له حضور راسخ، وانتقل إلى المنطقة عن طريق الحج والتجارة بواسطة علماء المذهب المالكي.[5]

كانت الحرية المذهبية لدى المالكية تتسم بتسامح إلى أبعد الحدود، حتى إن بعض شيوخهم تولوا مناصب عامة في تاهرت أواخر الحكم الرستمي،[6] وهذا ما يدل على حرية المالكية في ممارسة شعائرهم في كافة المساجد. كما تواجدت أصناف متعددة منذ إقامة عبد الرحمن بن رستم، [7]وكان أغلبهم من الكوفة، مما جعلهم ينشئون "مسجد الكوفيين". وكان من هؤلاء الكوفيين تجار وعلماء مثل ابن سعود وأبي دنون[8].

---

[1]عثمان سعدي،إباضيون في الجزائر وقفة الأمير، غازي للفكر القرآني، ص. 6-7.

[2]"قادة يسع المذهب المالكي في المغرب الأوسط"، في منتصف ق 5 ,هـ 11 م ، مذكرة ماجستير، شعبة التاريخ، جامعة وهران، 2004، ص. 204.

[3]الخوارج : هي فرقة دينية أصلهم راجع إلى ذلك الرجل الذي اعترض على قسمة النبي، واتهمه في عدله سليمان بن حالج الخوارج ط 1، 1430/2009هـ، دار الكنوز، السعودية، ص. 15.

[4]المعتزلة هم أصحاب العدل والتوحيد والسمو بالقدرية ، وقد جعلوا لفظ القدرية بأنهم يؤمنون بالقدر خيره وشره، الملل والنحل، انظر زهري حسن المعتزلة القاهرة 1946 ,ص. 16.

[5]جودة عبد الكريم، المرجع السابق، ص. 99.

[6]محمد إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج: بلاد المغرب ،ط2 دار الثقافة دار البيضاء المغرب 1985، ص. 195.

[7]ابن الصغير، مرجع سابق، ص. 36.

[8]جودة عبد الكريم، المرجع السابق، ص. 98.

أما فيما يخص الفرق الخارجية، فنجد الشيعة بفرقها، مثل فرقة الشيعة الزيدية التي قامت في المغرب الأقصى على يد موسى إدريس بن عبد الله. وكانت هذه العلاقة قائمة على الود نظراً للعوامل المشتركة، سواء مع الدولة الرستمية اتجاه العباسين[1]

أما علاقة الإباضيين بالصفريه كامل تمتاز بالهدوء، خاصة في عهد ميمون بن عبد الوهاب، [2]رغم أنهم كانوا الأقلية، وأول ظهور للمعتزلة كان في إمامة عبد الوهاب، وقد حظوا بتسامح ديني. ومما لا جدال فيه أن تعدد المذاهب والفرق الدينية في المغرب في القرن الثالث والثاني كان له أثر إيجابي في الحركة الفكرية والثقافية،[3] وفي إطار هذا التسامح الديني الذي ميز فكر إباضي الذي جاءت به دولة الرستميون، الدولة الرستمية منفتحة فكريًا، وهذا ما بدى واضحًا في مجال المناظرات التي كانت تعقد تشجيعا على العلم، وإنعدام سياسة تقييد المذهب،[4] رغم أن أغلب المصادر أرجعت أن هذا التسامح الديني كان وراء غايات ومصالح تجارية أو مالية[5].

وإن وضع الإباضية عامة بالنسبة إلى الشيعة والمذاهب والفرق الأخرى وضع غريب، فيه فبالرغم من عيشهم في البلاد مندمجين ومختلطين بإخوتهم من المذاهب الأخرى، يتعاملون معهم في جميع شؤون الحياة،[6] كما تربطهم علاقة مودة وصداقة أكثر مما تربط أصحاب المذهب الواحد. وكان هؤلاء الإباضية يتصرفون تصرف

[1] حمودة غرابة، أبو الحسن الاشعري ، د ط ، مطبوعات مجمع البيوت الإسلامية، 1393هـ/1973م، ص. 31.

[2] ميمون بن عبد الوهاب هو ابن عبد الرحمن رستم ابن شهراتان ابن بلكين ابن ساسور صاحب تيهرت رأس الاباضية وامام الواصلية – عبد الله خردابة مسالك وممالك د ط مطبعة بربل ، 1889،ص 87 .

[3] جودة عبد الكريم، المغرب والأندلس، صفحة 122.

[4] جودة عبد الكريم، مرجع سابق، صفحة 109.

[5] محمد بن رمضان شاوش، مرجع سابق، صفحة 37.

حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، صفحة122

[6] علي يحيى، الإباضية – الفرق الإسلامية، جزء 1 ط 2، 1994، سلطنة عمان، صفحة 14.

الديني الصحيح،[1] وفي مذهبهم السياسي، اضحت تيهرت مزيج لغوي ديني، وهذا ما جعلها حاضرة مستقبلة لطلاب العلم كغيرها.[2] ولعل كراهيت الاباضية لإراقة الدماء وهروبهم من الفتن جعلهم ذو طبيعة سلمية في كل المجالات، خاصة الجانب الديني.[3] وكما ذكرنا سابقًا، تعددت اللغات بين العربية الفصحى والفارسية والبربرية وغيرها، وهذا ما يدل واضحًا في الكتاب الذي أُرسل إلى الإمام عبد الوهاب إلى تمرّيدي والإي نفوسهة.[4]

كما أن الأندلس قد حرقت مذاهب خارجية، وهذا ما قاله ابن القوطية وصاحب كتاب "أخبار مجموعة" عن وجودهم، فظل مذهب الإباضية متواجدًا في الأندلس وبقي على تواصلمع إباضي تاهرت.[5] أما فيما يخص وصول المعتزلة، كان مجمع "الواصلة" قريب، هو نفسه لم يستطع مجادلتهم في مسائل متعلقة بالعلاقات والإعاقة. ورغم هذا، حظيت هذه الفرقة بتسامح، حتى إنهم ناظروا كبار الإباضية في نهر منية.[6] أما العرب الذين هربوا من حكم بني الأغلب أو من الاضطهاد المذهبي في المشرق، فانضموا تحت لواء "الواصلة"، وهي إحدى فرق المعتزلة، فقط استقروا في شمال تيهرت.[7]

---

[1] نفس المرجع،ص 14 .

[2] معمر حجيج، الحياة الثقافية والفكرية، حاضرة تيهرت 2019، جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، صفحة 29.

[3] علي يحيى معمر، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، ط2 أحمد بن سعود، صفحة 8.

[4] صالح محمد فياف، المظاهر السياسية ومضاربه الدولة وحضارة الدولة الرستمية، عدد 2، 1907، المجلة العلمية، صفحة 86.

[5] جودة عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، مرجع سابق، صفحة 169 و170.

[6] الخلدونية – مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون تيارت، أكتوبر 2019، صفحة 68.

[7] فضيلة محكمة، العدد 55–57، آذار/حزيران 1997، صفحة 88.

وفي الأخير نستخلص أن التسامح الذي عُرفت به الدولة الرستمية، والتواضع الذي ميّز الأئمة ودورهم الفعّال في الحركة العلمية والفكرية، حتى إن بعضهم كان يزاول التدريس، ساهم بشكل كبير في توطيد علاقتها الودية مع عواصم المغرب، مع القيروان وقاص سجدة وقاصه. كما أن تسامحهم هذا مع مختلف الأطياف والأجناس، قام بتهيئة بيئة فكرية تتّسع للتعايش الديني، وهذا ما انعكس إيجابًا على نماذج التمازج الفكري، وما مكّنهم من إنشاء هياكل ومؤسسات تعليمية من كتاتيب ومساجد ومكتبات لمزاولة التعلم.

الخاتمة

الخاتمة

كانت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة:

أن الدولة الرستمية تُعتبر أول دولة مستقلة في المغرب الأوسط، وفي فترة وجيزة حازت على مكانة مرموقة، وهذا راجع إلى عاصمتها التي كانت مهد السياسة والفكر، إذ شغلت مركزًا ثقافيًا بارزًا كغيرها من الحواضر. وهذا ما جعلها قبلة للمسلمين من كل أنحاء البلاد، إما للتعلّم فيها أو من أجل الاستقرار بها، مما ميّز حكامها بالعدل والاستقرار الذي عمّ الدولة الرستمية، وجعل منها منارة اقتصادية، وهذا راجع إلى مقوماتها الجغرافية، حيث إنها توسطت المغرب وكانت معبرًا لقوافل، فكانت مركزًا تجاريًا حيويًا، إذ ظهرت فيها التجارة بتنوعها الداخلي والخارجي. وتعدّدت الصناعات فيها من صناعات نسيجية ودباغية وغيرها.نشطت الحركة الفكرية لعدة أسباب كما ذكرنا سابقًا، وكذلك للتسهيلات التي وفرها الأئمة للعلماء للإقامة في تيهرت، وكانت مكتبة "المعصومة" ذات تأثير كبير في التطور الفكري، إلى جانب جلب الأئمة للعلماء من المشرق، وعقد المناظرات وحلقات العلم في المساجد والكتاتيب، مما غلّب الطابع العلمي. فضلًا عن أن التعليم لم يقتصر على الأولاد دون الإناث.

وإضافة إلى ما سبق، فإن سياسة التسامح والانفتاح التي انتهجتها الدولة الرستمية شجّعت على العطاء الثقافي، فلم يكن العلماء في تيهرت بمعزل عن غيرهم، بل قاموا برحلات علمية إلى دول المغرب الأخرى. ومثال على ذلك ما ذكره ابن حماد عن الشاعر الشاعري، الذي كان بمثابة حلقة وصل بين الدولة الرستمية وغيرها. وهكذا كانت الرحلات العلمية إحدى الركائز التي قامت عليها الحركة الفكرية، وهذا ما يتجلّى في المجاورات العلمية مع القيروان وتاهرت وفاس، مما أدى إلى تقارب فكري وتعدد في العلوم داخل تيهرت.

ولا يمكننا تجاهل اختلاف المنهجيات وتعدد اللغات، مما جعل من المدينة خليطًا ثقافيًا وديانات متعددة، وأدى ذلك إلى وجود تعايش ديني بين المذهب الإباضي والفرق الأخرى من المالكية والشيعة والصفرية وغيرهم، الذين حظوا بحرية دينية، حتى أن غير الإباضيين كانوا يُناظرون ويُحاورون في مساجد تيهرت دون تصنيف أو تقييد من الأئمة.

وفي الأخير، كان للحجيج والتجارة دورٌ في الإثراء الفكري والثقافي في تيهرت.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

قرآن الكريم

1-الاصطخري ابو اسحاق ابراهيم محمد الفارسي 613المسالك والممالك بيروت 1927

2- البكري ابي عبيدة، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، دط، مكتبة المثنى، بغداد .

3-الحموي شهاب الدين ابي عبيدة الله ياقوت ت 996،معجم البلدان، ج4،5،دط، بيروت

4-ابن حوقل، ت1090،380،صورة الارض، ط2،بيروت

5-الحميري محمد بن عبد المنعم (ق 9 . 15م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح احسان عباس،ط 1،بيروت 1975

6- الدرجيني ابي العباس احمد بن سعيدوات حوالي 670هـ، طبقات المشايخ بالمغرب تح ابراهيم ج1 ج2مطبعة المبعث؛ الجزائر

7-ابن خلدون عبد الرحمان ت 308هـ 1406،العبرو ديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي سلطان الاكبر، ج7،ط3لبنان، 2006

8-ابن خردذابة ابو عبد الله ت 30هـ 912 المسالك والممالك دط 1898

9-الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب تح محمد رستم ط1القاهرة 1414

10- زكريا يحي بن ابي بكر، سير الائمة واخبارهم تح اسماعيل العربي، الجزائر، 1979

11-مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتحقيق سعد زغلول عبد الحميد دط، دار الشؤون الثقافية بغداد

12-الباروني سليمان بن عبد الله الازهار الرياضة في أئمة ملوك الاباضية ، تح احمد كروم، عمر ابراهيم، بن بكير بحاز، ط3دار البعث الجزائر 2002

13-اليعقوبي احمد بن ابي يعقوب بن واضح، البلدان، دط 1890

14-المقدسي المعروف الباشري، 380هـ 946م، احسن تقاسيم في معرفة الاقاليم دت، ط3، مكتبة مديولي، القاهرة 1419 1991

15-المالكي ابن الصغير، اخبار الائمة الرستميين ، تح محمد الناصر وابراهيم بحاز، دط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986

المراجع:

16-بكير بحاز ابراهيم، الدولة الرستمية 160هـ 296م 777هـ809 دراسة في الاوضاع السياسية والحياة الاقتصادية نشر جمعية التراث، القيروان 1993

17-بكير بحاز ابراهيم، عبد الرحمان بن رستم شخصيات لها تاريخ، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990

-18بوروبية رشيد واخرون، الجزائر في التاريخ العهد الاسلامي من فتح الي بداية العهد العثماني، دط، وزارة الثقافة

-19. بوروبية رشيد، مدن مندثرة تاهرت، سدراتة، اشير، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013

سعد زغلول، عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي وتاريخ الدولة الاغالبة والرستميين، وبني مدرار والادارسة في قيام الفاطميين

-20 محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والاندلس، دار القلم الكويت 1987

21-عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1،مكتبة الحياة الجزائر، 1975،1374

22-سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي من فتح الي بداية الاستقلال، ج10،دت، دار المعارف، الإسكندرية

23 -عصام الدين عبد الرؤوف الفقهي، تاريخ المغرب والاندلس، ج1، مكتبة نهضة القاهرة

المعاجم:

24 -معجم الوسيط، مادة الكتب ، ووقف الكتاتيب

25 -احمد عمار مختار، معجم اللغة العربية المعاصر، مجلد 1،ط1 مصر 2008

رسائل الجامعية:

26 – جلجال فاطمة، موقع تيهرت الاثري 160 296،مذكرة ماجستير،تخصص علم الاثار،جامعة ابي بكر بلقايد، 2013

27 –فاطمة مطهري، مدينة تيهرت الرستمية، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، علبلي محمد، الاشعاع الفكري في عهد الاغالبة والرستميين خلال ق 2 رسالة ماجستير، جامعة بلقايد تلمسان 2008

28 –سبع قادة، المذهب المالكي في المغرب الاوسط، في منتصف ق5 مذكرة ماجستير، تاريخ جامعة وهران، 2004

29 –محمد طمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج 2007

المقالات:

30 –صبيان حبيب، حضارة تيهرت من خلال مصادر التاريخ الوسيط، جامعة الزيتونة، الاردنية، الاصدار الاول، 2021،

31 – دور أئمة تيهرت الرستمية في تشجيع ووتطوير الحركة الفكرية خاصة العلوم الدينية، مجلة الحكمة، مج 1، العدد1،الجزائر، 2013

32 –عبد الغني ماء والورد، دراسات تاريخية، مجلة فصيلة محكمة، جامعة دمشق، آذار 1997

33 – تالية سعدو، الحركة والفكريةبالدولة الرستمية واسهام المراة الاباضية فيها، جامعة ابن خلدون تيارت

34 –مفيدة مزيان، اسهامات علماء حاضرة تيهرت الرستمية وجهودهم في تفعيل الحركة العلمية والثقافية في بلاد المغرب الاسلامي، جامعة الجزائر

الملاحق

ملحق رقم (01) :تخطيط افتراضي لحدود مدينة تيهرت

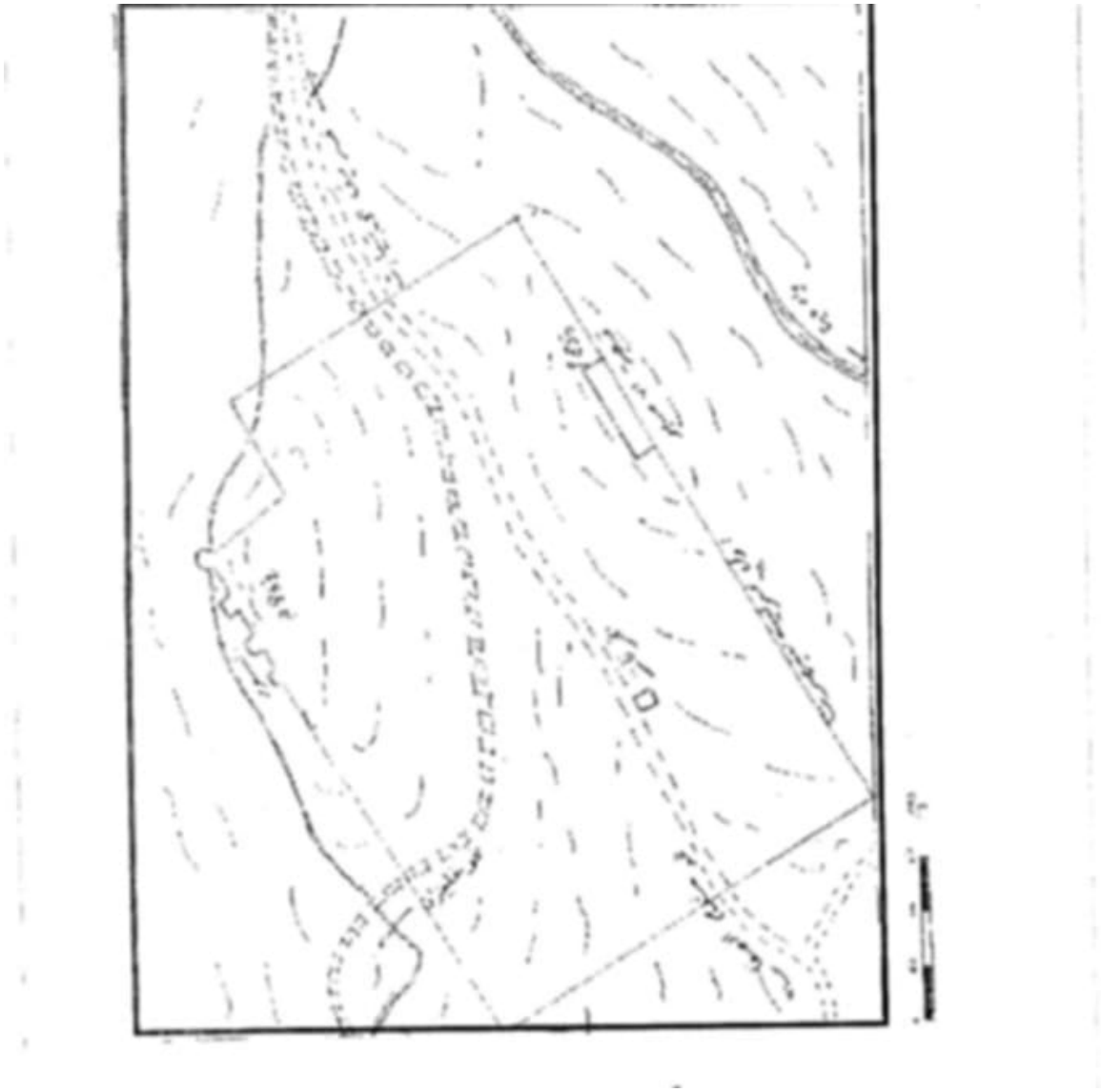

فاطمة مطهري، مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية، رسالة ماجستير ص 314

ملحق رقم (02) :

خـــزانات المـــياه

فاطمة مطهري، مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية، رسالة ماجستير ص 314

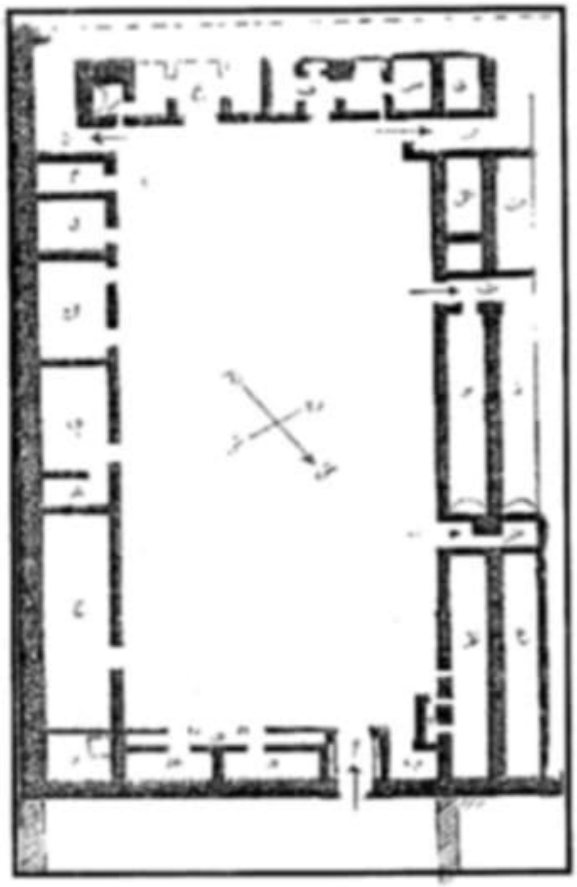

قصبة الجهة الجنوبية

الملحق رقم (04): قصبة الجهة الجنوبية لتيهرت

الملحق رقم (05):

الملحق:

صورة شكل المظلم بتيهرت خلال العصر الإسلامي الوسط

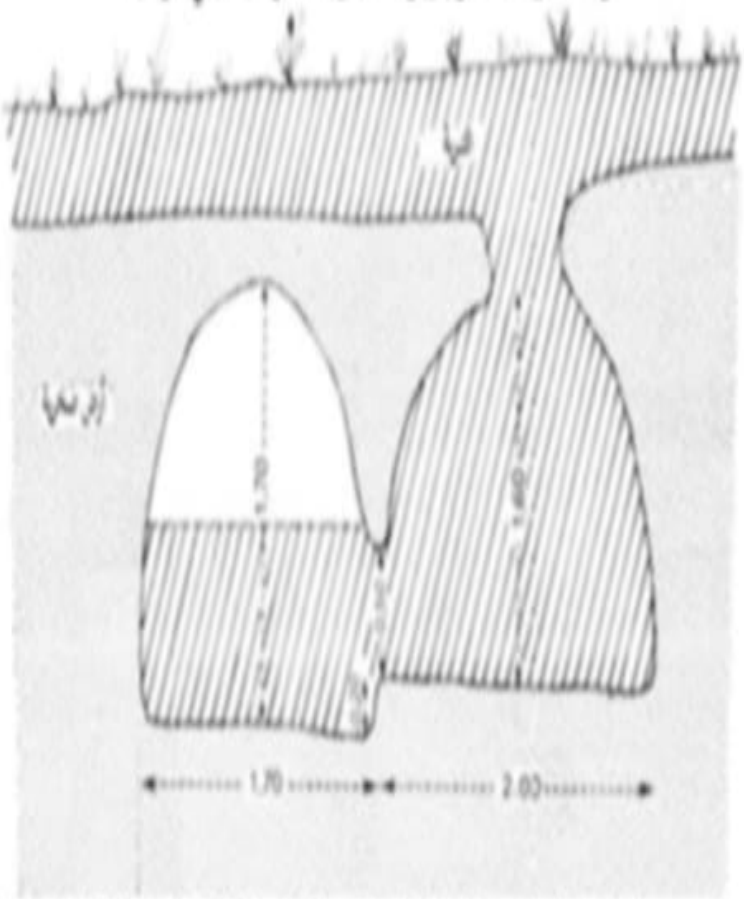

ينظر : عباد محمود، الموقع وتطور المشهد العمراني لمدينة تيهرت" القديمة "خلال العصر الإسلامي الوسط، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة وادي سوف المجلد 8، العدد 5، الصفحة 519-538، 2018.

ملحق رقم (05): نماذج لنقود الدولة الرستمية[1]:

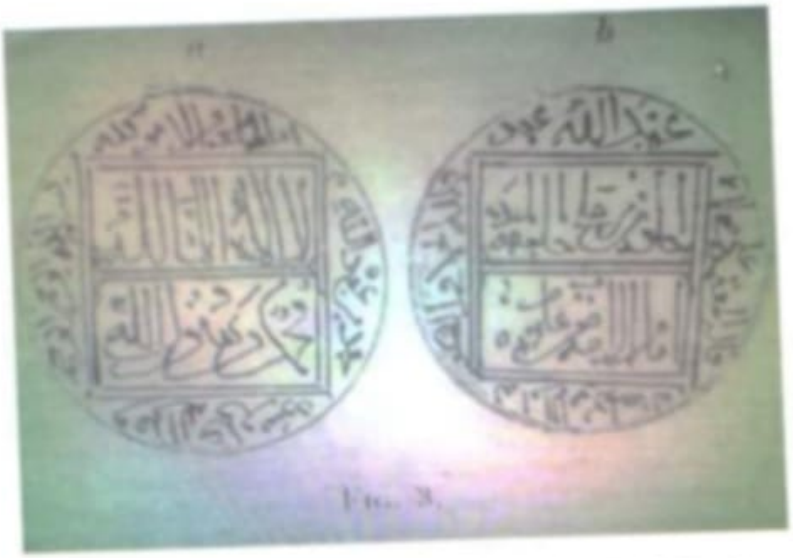

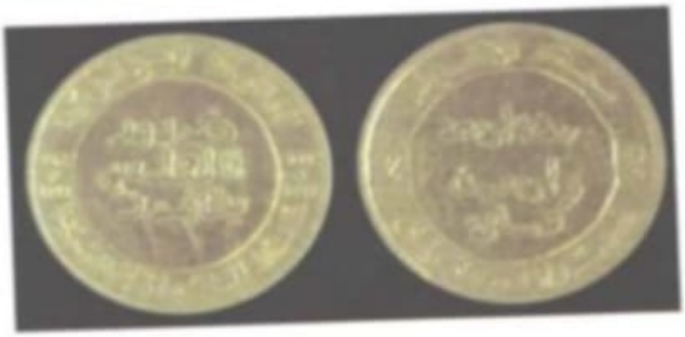

الملحق رقم (06):

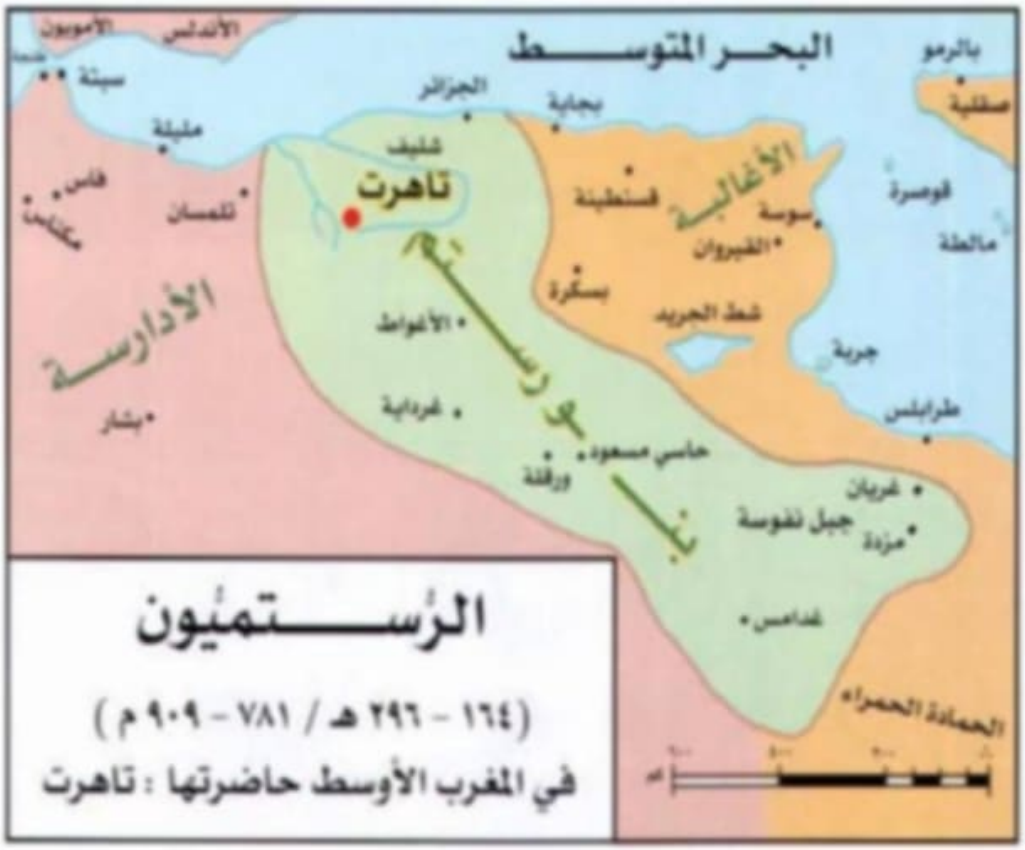

الحدود السياسية للدولة الرستمية

، شوقي ابو خليل: أطلس التاريخ الإسلامي ، دار الفكر دمشق سورية ط 2005،5

ص50 .

الفهرس

الفهرس

الشكر

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ

المـــــــــدخل:.

1.الامتداد الجغرافي لتيهرت......6

أهمية تاهرت التاريخية:.....

العوامل التي ساعدت على تأسيس تيهرت:.....10

الفصل الاول :الدور الاقتصادي لتيهرت.....

المبحث الأول: الزراعة.....14

المبحث الثاني: الصناعة.....18

المبحث الثالث: التجارة.....22

الفصل الثاني: الدور الثقافي والديني لتيهرت.....26

المبحث الأول: الهياكل التعليمية في تيهرت.....26

المبحث الثاني: العلاقات الثقافية للدولة الرستمية مع دول المغرب.....31

المبحث الثالث :التعايش المذهبي بتيهرت.....38

الخاتمة 44

ملخص :

كانت تيهرت الرستمية حاضرة ثقافية متعددة الابعاد حيث لعبت دورا مهما في مختلف الاصعدة الفكري منها والاقتصادي ، وهذا مامكنها من تكوين علاقات علمية مع من عاصرها من دويلات خصوصا مع الانفتاح الفكري المذهبي والتعايش الديني الذي ميزها عن غيرها

كلمات المفتاحية:

تيهرت، الدولة الرستمية، الثقافة، عبد الرحمان بن رستم، الاباضية، المغرب الاوسط

Summary:

Tihert of the Rustamid state was a cultural center with multiple dimensions, playing an important role on various levels, both intellectual and economic. This enabled it to establish scholarly relations with contemporary states, especially due to its intellectual openness, religious coexistence, and sectarian tolerance, which distinguished it from other regions.

Keywords:

Tihert, Rustamid State, Culture, Abd al-Rahman ibn Rustam, Ibadism, Central Maghreb